مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

لقد عني الأصوليون باللغة عناية بالغة، من حيث ألفاظها ومعانيها ودلالاتها، فتتبعوا أحكامها إفرادا وتركيبا، حقيقة ومجازا، إطلاقا وتقييدا، خصوصا وعموما، أمرا ونهيا، ووضعوا القواعد التي تضبط سبل استنباط الأحكام من هذه اللغة التي نزل بها القرآن الكريم.

وقرروا فيما قرروه من قبل : « أن الألفاظ لم تقصد لذواتها، وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم » و أن تفاوت التفاضل يقع في دلالات تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها .

لقد أمر الشارع الحكيم بتدبر معاني النصوص الشرعية وإدراك مقاصدها ودلالاتها، وفهم أحكامها ومداركها، وذلك بقوله Y: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: 24] ، والتدبر إنما يكون لمن إلتفت إلى المقاصد.

بناء على ذلك ، وضع الأصوليون ضوابط كثيرة لفهم دلالات النصوص الشرعية، و ميّزوا بين الدلالة المتبادرة إلى الذهن ، و الدلالة التي أرادها صاحب النص، فالعبرة بالإرادة لا باللفظ.

ولما كانت اللغة خاضعة لاعتبارات غير لغوية من ظروف وملابسات تكتنف الحدث اللغوي، يعد "**المقام**" أو" **مقتضى الحال**" أهمها ، وهذه الأهمية الكبيرة والمكانة المتميزة تكمن في توجيه معاني كثير من الألفاظ والتراكيب، فعلماء اللغة قديما و حديثا يرون أن المميزات غير الكلامية للوحدة اللغوية مهمة في تحديد معناها كأهمية معنى الكلمة والمعنى

النحوي ويدخل كلاهما في المكون الكلامي، لأن المعاني المعجمية ليست كلّ ما يمكننا من خلاله إدراك معنى الكلام أو النص، لأن ثمة عناصر لغوية وغير لغوية تساهم بشكل كبير في تحديد المعنى، وهذه العناصر جزء من الكلام الذي لا يمكن الوصول إلى معناه من دونها.

إن البحث عن دلالة الكلمة لابد أن يجري من خـلال التركيب و المقام الذي ترد فيه حيث ترتبط الكلمة بغيرها من الكلمات مما يمنح كلا منها قيمة تعبيرية جديدة ، ويفرض عليها قيما دلالية بحيث يتحدد كل منها بدلالة قارة دون سائر الدلالات التي يمكن لهذه الكلمة ،أو تلك أن تحملها أو تؤديها.

بناء على ما سبق ،حاول هذا البحث تسليط الضوء على مقتضيات الأحوال – باعتبارها جزءا من السياق الذي يعد من كبريات القرائن– من وجهة نظر الأصوليين، و تخصيص " **بدائع الفوائد لابن القيم** " كمدونة للدراسة لم يكن اعتباطا وإنما أدى إليه احتفاء ابن القيم به في كثير من تحليلاته للنصوص الشرعية، وإبرازه في كثير من الصفحات لأهميته في استنباط المعاني والأحكام على حد سواء .

<u>الإشكالية :</u>

يعالج البحث مجموعة من الإشكاليات مفادها :

- ما مفهوم مقتضى الحال في التراث العربي والدرس اللغوي الحديث؟ وما أبرز آلياته، وما الفرق بينه وبين مفهوم الحال والمقام؟ وما هي أهم تجلياته عند الأصوليين بصفة عامة ؟ وكيف اتخذ منه ابن القيم معلما من معالم التحليل الصحيح ؟

لقد أخذ– هذا البحث–على عاتقه مناقشة النقاط التالية:

1. استجلاء أهم المفاهيم الخاصة بمقتضى الحال.
2. الكشف عن استعماله كمصطلح، واستثماره في الدراسات اللغوية العربية القديمة والنظريات اللسانية الحديثة.
3. رصد أهم تجلياته في الفكر الأصولي، من خلال تعالقه مع أبوابه وقواعده.
4. أثبت البحث اهتمام ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد بالمقام ، واتكاله عليه في فهم الكلمات واستنباط دلالاتها.

واتخذ– كاقتراح لمناقشة هذه النقاط– الخطة التالية :

خطة البحث :

قسمت الرسالة إلى تمهيد ، وثلاثة فصول ، وخاتمة تشتمل على أهم نتائج البحث ، وذلك وفقاً لما يأتي:

أ– **التمهيد** : و فيه دراسة عامة للدلالة وأصول الفقه ، وقد اشتمل على عدة موضوعات فرعية تتضمن تعريفا لأصول الفقه لغة واصطلاحاً ، وأهميته ، وعلاقته بعلم الدلالة وأنواع الدلالات عند الأصوليين ، ودراسة المعنى وأهم الصعوبات التي تواجهها ، واشتمل كذلك على عرض بسيط لبعض القضايا كتعريف لعينة الدراسة كتاب "**بدائع الفوائد لابن القيم**".

ب– الفصل الأول : ويتضمن دراسة في مصطلح مقتضى الحال ، وعرض أهم المفاهيم الخاصة به، مع ذكر مرادفاته وما يتعلق به في التراث العربي والنظريات الغربية الحديثة كنظرية السياق التي ارتبطت بالعالم اللغوي الانجليزي (فيرث).

جـ- **الفصل الثاني:** ويتضمن دراسة لعناصر مقتضى الحال عند الأصوليين، فيبين أهمية مقتضى الحال في فهم الخطاب الشرعي باعتبارها آلية من آليات التحليل .و ذلك من خلال التطرق لمفهوم الخطاب الشرعي مع بيان الآليات التي اتكئ عليها الأصوليون في سبيل استنباط الأحكام الشرعية، والتي يعتبر مقتضى الحال أهمها.ثم عرض للعناصر المكونة لمقتضى الحال عادة المتكلم - معهود العرب- العرف- أسباب النزول- أسباب الورود

د- **الفصل الثالث :** تضمن الجانب الإجرائي لمقتضى الحال من خلال مدونة الدراسة بدائع الفوائد ،و فيه شرح لأثار مقتضى الحال على الظواهر اللغوية الحقيقة و المجاز و بيان الاشتراك و الترادف و التضاد ودوره في تخصيص العموم وتقييد المجمل، وفيه إشارات لأهم القواعد الأصولية التي راعت عناصر مقتضى الحال في تطبيقاتها كقاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، سد الذرائع، الاستصحاب.....

و خاتمة شملت على أهم النتائج المستخلصة من البحث.

مبررات اختيار الموضوع:

- **المبررات الذاتية:**

  - أهمية هذا العلم وفضله " فأصول الفقه طريق يوصل إلى معرفة الفقه".
  - إطلاع الباحث على هذا الموضوع ، بالإضافة إلى الرغبة في دراسته والتعمق فيه أكثر، هذه الرغبة خلقت جوا من الارتياح النفسي لدى الباحث، إضافة إلى كون البحث مستمدا من كتاب الله وسنة رسوله.

- **المبررات الموضوعية:**

  - قد تتعدد أسباب اختيار موضوع كمقتضيات الأحوال وأثرها في توجيه المعنى في الفكر الأصولي و ذلك لكونه من ضمن الاختصاص الدراسي إذ أن مقتضى الحال يعد من أحدث النظريات و المواضيع في مجال علم الدلالة الحديث حيث يعد أحد ركائز النظرية السياقية الحديثة.

  - قابلية الموضوع للدراسة ، وتوفر المراجع التي تتناول الموضوع.

أهداف الدراسة :

- التعرف على أهم قرينة في النظرية السياقية ألا و هي قرينة المقام أو ما يعرف بمقتضى الحال.
- تحديد طبيعة العلاقة بين العناصر الغير لغوية (ملابسات الخطاب) و النصوص الشرعية .
- التعرف على أسلوب الشارع الحكيم في تفعيل أداء النصوص.

أهمية الدراسة :

تكتسي هذه الدراسة أهمية من كونها تهدف إلى فهم النصوص الشرعية من خلال توظيف جميع القرائن الغير لغوية ، من ثم استنباط الأحكام الشرعية على ضوئها، و عليه تظهر قيمة المقام في التفعيل الأدائي للنصوص الشرعية.

الدراسات السابقة :

هناك كثير من الدراسات والأعمال العلمية ، التي جعلت من تراث ابن القيم العلمي موضوعا لها ، وقد استفدت منها في بحثي من الناحيتن التأصيلية و التطبيقية، وكذلك أفادتني في جمع المعلومات عن شخصيته ، وحتى لا أخفي جهود غيري أحببت الإشارة إليها ومنها :

- ✓ ابن قيم الجوزية ;حياته،آثاره ، موارده من تأليف الدكتور: بكر بن عبد الله أبو زيد.
- ✓ التقريب لعلوم ابن القيم من تأليف الدكتور : بكر بن عبد الله أبو زيد .
- ✓ ابن القيم و آراءه في الفقه و العقيدة والتصوف تأليف: عبد العظيم عبد السلام شرف الدين.
- ✓ القواعد الفقهيَّة المستخرَجة من كتاب "إعلام الموقعين"؛ للدكتور عبد المجيد جمعة.
- ✓ منهج ابن القيم في التعرف على المقاصد وإعمالها من خلال كتابه إعلام الموقعين للدكتور عبد الوهاب بن عبد الله الريسني.
- ✓ ابن قيم الجوزية جهوده في الدرس اللغوي للكتور طاهر سليمان حموده.
- ✓ ماجستير آراء ابن القيم اللغوية في كتابه بدائع الفوائد لعبد الله عبد ربه الذنيبات.
- ✓ سد الذرائع عند الإمام ابن القيم وأثره في إختياراته الفقهية، سعود بن ملوح سلطان العنزي.
- ✓ ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن لعبد الفتاح لاشين.

صعوبات البحث:

كان من أهم الصعوبات التي يمكن أن تذكر في هذا البحث تشعب موضوعه ، فقد يفوت الباحث بعضا من لواحق الموضوع ، وقد لا يستكمل فيه كل ما يتصل به ويحيط بمجامعه ، ثم صعوبة التعامل مع كتب المتقدمين مما اضطرني كثيرا إلى الرجوع إلى كتب المتأخرين لفهم عبارات المتقدمين.

منهج الدراسة :

أما المنهج الذي استعان به البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي ، حيث أفاده في وصف وتحليل الدراسة من الزاوية التي تهم موضوع بحثه .